بل ان الشبه يتجاوز الطروحات الى الدوافع النفسية التي حركتها ولا سيما عقدة الخوف التي تعتبر من أروج بضائع الحركة الصهيونية وأحد أهم «مبررات» قيامها.

لو اقتصرت الجبهة، في وثيقتها، على اعتبار «**ضمان الحريات الفردية والجماعية لكل بنيه ومؤسساته هم لبنان الاول**»، وطالبت باقرار كل ما من شأنه توكيد ذلك لما برز بيننا وبينها أي خلاف.

غير أن الخلاف يستحكم بيننا عندما تصر الوثيقة على:

«١ - **ان مشكلة الشرق الأوسط الاساسية والاولى، بل مشكلة كل اسيا وافريقيا، بل ما هو أوسع من اسيا وافريقيا، هي مشكلة الاقليات**».

«٢ - **وان الاقليات الاساسية في الشرق الاوسط هي الاقليات الدينية**».

نحن لا ننكر أن في هذه الدنيا، بما فيها عالمنا مشكلة أقليات، ونضيف من عندنا الى الاقليات الدينية، ما تجاهلته الجبهة من أقليات قومية. ولا ندري إذا كان تجاهلها هذا ناتجاً عن اعتبارها ان الدين والقومية شيء واحد تماما كما تقول الدعوة الصهيونية.

ولا ننكر أيضا أن الفكرة القومية العربية لا تزال مطالبة بالمزيد من تحديد مضامينها بالنسبة لمجموعة من هذه المشاكل، مشكلة الدين، ومشكلة الاقليات، وغير ذلك من المشاكل التي يشكل الغموض فيها ثغرات تؤخذ على «**الفكرة القومية**»، فتتهم طورا بانها و«الاسلام» شيء واحد، أو انها حركة عنصرية تقوم على العرق والحسب والنسب وغير ذلك من مقومات «**القومية البورجوازية**» التي شهدتها أوروبا في بداية مرحلة تحولها نحو القومية. وفي هذا المجال بالذات، ليس المسيحيون فقط، ولا غير العرب من سكان هذه المنطقة فقط، هم الذين يريدون مثل هذه الايضاحات والمضامين، وانما معهم، وربما قبلهم، يقف كبار المؤمنين بالفكرة القومية والداعين لتحقيقها والحالمين بيوم يصبح فيه للعرب دولة واحدة. وإذا كنا لا ننكر هذا كله فنطالب بفصل الدين عن الدولة وبعلمنة المجتمع القائم، فاننا لا نستطيع التسليم مع الجبهة «**بان مشكلة الشرق الاوسط الاساسية والاولى، بل مشكلة العالم كله هي مشكلة الاقليات الدينية**».

إن التسليم بهذه المقولة يؤدي، في النهاية، الى الاستسلام أمام «**الكيان الصهيوني**» بعد تصوير الصراع القائم على أنه صراع ناجم بسبب «أقلية يهودية» تعيش وسط أكثرية عربية أو مسلمة، بينما هو في حقيقته صراع ضد اغتصاب الأرض الوطنية وطرد شعب من دياره واحلال أجنبي محله.

ان لم تقصد الجبهة في وثيقتها هذا التوجه الخطر، وان كانت ترى تمييزاً بين مشكلة الاقلية المسيحية ومشكلة «**الاقلية اليهودية**» كان عليها أن تقول ذلك وبصوت عال ولكنها للأسف لم تفعل، بل ومضت تطرح حلولا من النوع نفسه الذي نخشاه بل ونناضل ضده. فهي بعد أن تقول بأنه «**لن يكون في لبنان الذي نريد أن نبني أي غبن أو اجحاف في حق أية طائفة من طوائفه**» تسارع الى القول «**ان المجتمع المسيحي في لبنان يحتل مركزا خاصا، نظرا الى تفرده عبر القرون بتاريخ متواصل... الخ**».